القرآن في النهضة

www.ketab.ir

تأليف

جواد علي كسّار

توفیق، خالد، ۱۳۳۸ ـ
القرآن فی النهضة/ مؤلف جوادعلی کسّار. ـــ تهران: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)، مؤسسه چاپ و نشر عروج، ۱۳۸۵. ۳۰۶ ص. ـــ (الامام الخمینی؛ النّهضة و المنهج؛۲)
ISBN: 964 - 335 - 673 - 6
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
۱. خمینی، روح‌الله، رهبرانقلاب و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایران، ۱۲۷۹ ـ ۱۳۶۸. ـ ـ نظریه درباره قرآن. ۲. مفسران ـ ـ قرن۱۴. ۳. تفاسیر ـ ـ قرن۱۴ ـ ـ تحقیق. الف. مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س) ـ دفتر قم. مؤسسه چاپ و نشر عروج. ب. عنوان.
BP ۹۲/ ۶/ ۹ ق ۴ ت / ۲۹۷/ ۱۹۲
کتا بخانه ملی ایران ۸۵ ـ ۲۴۶۳۱ م

کد/ م ۲۱۷۹

مؤسسه چاپ و نشر عروج

القرآن فی النهضة

- المؤلف: جوادعلی کسّار
- الناشر: مؤسسة العروج
- الطبعة ا دوم : ۱۴۰۳ ش
- الکمیة: ۵۰۰ نسخة
- السعر: ۱۳۱۰/۰۰۰ ریال

1010020001000 13
قران فی نهضه عربی

www.ketab.ir

مراکز پخش
خیابان انقلاب، بین فروردین‌وفخررازی، فروشگاه مرکزی، تلفن: ۶۶۴۰۲۸۷۳ ـ دورنگار: ۶۶۴۰۰۹۱۵
خیابان انقلاب، تقاطع حافظ، فروشگاه شماره۱، تلفن: ۶۶۷۰۱۲۹۷
خیابان انقلاب، خیابان۱۲فروردین، خیابان شهدای ژاندارمری، فروشگاه شماره۲، تلفن: ۶۶۹۵۵۷۳۷
حرم مطهرحضرت امام خمینی (س)، ضلع شمالی، فروشگاه شماره۳، تلفن: ۵۵۲۰۳۸۰۱
کلیه نمایندگیهای فروش در استانها
نشانی الکترونیکی: pub@imam-khomeini.ir

تصدير

يعد القرآن الكريم المصدر الرئيس لكلّ مسلم؛ من أيّ مذهب كان، وفي مختلف أرجاء العالم؛ وفي كلّ حقبة من الزمن، ولا يسعه أن يستغني عن هذا الثراء الخصب؛ وعن الاستلهام منه، والاستضاءة بنوره، ولذا فمن الواجب عليه أن يتّخذ من القرآن منطلقاً في حياته الفردية والاجتماعية، في مختلف نواحيها، ويستلهم من دروسه الحيّة عِبراً؛ لإقامة حياة طيّبة لنفسه ومجتمعه.

وهذا ما يفسر لنا سبب اهتمام المسلمين بهذا الكتاب طيلة قرون عدّة؛ ومحاولاتهم الدؤوبة لفهمه وتفسيره، وردّ متشابهاته إلى محكماته، وإيجاد علوم خاصّة به.

والإمام الخميني ﷺ انطلاقاً من كونه فقيهاً، ينظر إلى القرآن الكريم كمصدر رئيس لاستنباط واجبات المسلمين منه، ولإصدار أحكام الدين، وتنظيم العلاقات الدينية والأسرية والاجتماعية حسبما يقتضيه هذا الكتاب، وانطلاقاً من كونه قائداً، يرى أنّ القرآن يقود الإنسان إلى حياة عادلة وحرّة.

ناهيك عن كون هذا الرجل العظيم، من المتخصصين في العرفان النظري، ومن لسالكين في هذا الطريق، فهو ـ كعارف مهتمّ بالجوانب النفسية الإنسانية ـ ينظر إلى

www.ketab.ir

هذا الكتاب العزيز، كحبل متين متدلٍ من سماء الألوهية إلى أرض الإنسانية؛ لينتهي بالإنسان إلى منتهاه الأسمى، وغايته القصوى، ولذا لم يطغَ عنده جانب على حساب جانب آخر؛ فهو في الوقت الذي يؤكد فيه على الجانبِ المعنوي والنفسي للقرآن، يطرح مؤاخذات مهمة على الذين يصرفون هممهم في التفسير المعنوي لهذا الكتاب، ويغفلون أو يتغافلون عمّا عداه من الجوانب الاجتماعية.

إذن فلا عجب من انشداده الوثيق إلى القرآن في مختلف مجالات الحياة؛ مستدلاً به، ومستضيئاً بنوره؛ سواء في مسألة فقهية فردية، أو مسألة سياسية دولية.

وفي ضوء ما سبق ذكره هناك حيّز واسع من تراثه الفكري الثر يختص بالقرآن و قضاياه وشؤونه وشجونه، لكنّه يبقى متناثراً بين ثنايا أعماله العلمية الفقهية، والأصولية، والتفسيرية.

وعلى الرغم من اهتمامه مباشرةً بتفسير بعض السور ـ كسورة الفاتحة ـ لكننا نراه غير مرّة وفي أكثر من موضع، يجود قلمه بتفسير بعض الآيات، ويعرفنا بجوانب من القرآن ومن دروسه الحيّة التي كانت مستترة عن أفهامنا، ومع كلّ هذا فهو يتعامل مع هذه القضية من مبدأ نكران الذات فلا يرى نفسه مفسّراً للقرآن الكريم؛ في إشارة منه إلى خطورة هذا العلم الشريف، وعمقه وبُعد مناله، ومكانته عند المسلمين الملتزمين بالمبادئ والقيم العليا.

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مجموعة «الإمام الخميني: النهضة والمنهج» التي ستصدر في اثني عشر كتاباً إن شاء الله، ويتركّز الاهتمام فيه على التراث القرآني للإمام الخميني ﷺ ويضع إطاراً مدرسياً لقراءته قراءة عصرية معمّقة وتوفيقية بين مختلف الاتجاهات الرئيسية في هذا الحقل. وهو

www.ketab.ir

يدور حول ثلاثة محاور رئيسية:

- القرآن ورادة النهضة.
- المشروع القرآني للإمام الخميني.
- تطبيقات وشواهد قرآنية.

وقد تطرّق إليها الباحث بالتفصيل في مقدّمته التي صدر بها الكتاب، ولذا فلسنا بحاجة إلى مزيدٍ من بسط القول في هذا المجال.

بقي علينا أن نتقدّم بالشكر والتقدير للأخ العزيز الأستاذ جواد علي كسّار، على اهتمامه بهذا العمل القيّم، وتحمله صعاب التحقيق، راجين من الله أن يكون هذا الكتاب فاتحة خير لأعمال علمية أخرى في المستقبل، وخطوة متواضعة في هذا الطريق.

وفي الختام ندعو القراء الأعزاء إلى أن يشاركونا في تسديد عملنا بما يرونه من النصح والاقتراح، ونحن بدورنا نرحّب بأي نقد برحابة صدر، معتقدين أنّ حياة العلم بالنقد والرد، والله من وراء القصد.

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره

فرع قم المقدسة

www.ketab.ir

مقدمة المؤلف

يتفاوت منهج دراسة الشخصيات الإحيائية المسلمة وأفكارها بين باحث وآخر، لكن ذلك لا يمنع من تصنيف هذه المناهج من زاوية معيّنة، إلى منهجيّتين رئيسيتين:

١ ـ المنهجية الترتيبية.

٢ ـ المنهجية الإحيائية.

في المنهجية الترتيبية يماشي الباحث الشخصية التي اختارها، باستعراض مسارها موزّعاً على سني حياتها. من هنا تركيز هذه المنهجية على تفاصيل السيرة الشخصية من الولادة حتى الوفاة، عبر متابعة النشأة العائلية وأشواط الدراسة، والاهتمامات والعلاقات، وبذور الأفكار وبداياتها، وما يرتبط بالنشاطات العلمية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك من الأدوار التي لمعت بها تلك الشخصية الإحيائية أو الإصلاحية.

إنّ عدداً غير قليل ممّا توفّرت عليه المكتبة العربية والإسلامية في دراسة رجال النهضة وقادة الإحياء ورموز الإصلاح في العالم العربي والإسلامي، جسّد هذه المنهجية وتابع خطاها على نحوٍ وافٍ. والشيء الأكيد أنّ وعينا يدين بقسط وافر من تكوينه إلى هذه الكتابات، التي مثّلت زاداً مهمّاً لوعي الجهود الكبيرة التي بُذلت من

www.ketab.ir

قبل هؤلاء الرادة خلال أكثر من قرن ونصف من وجود المسلمين في العصور الحديثة.

لكن ما لبث وأن شهد خطّ هذه الدراسات تطوّراً مشهوداً عبر التحوّل من المنهجية الترتيبية إلى المنهجية الإحيائية. والسرّ يعود إلى كفاءة المنهجية الإحيائية فيما تمنحه للباحث من غنىً في الأدوات وثراء في المادّة وتنوّع في الخيارات، تهبه بمجموعها أفقاً رحيباً وتضفي على الحصيلة المزيد من الخصوبة والحيوية.

المنهجية الإحيائية تعني باختصار التعامل مع منظومات الأفكار، بعكس الصيغة الترتيبية التي تحرص على إبراز تفاصيل السيرة الشخصية من الولادة حتى الوفاة. بهذا المعنى تنطوي المنهجية الإحيائية على قدرة لمّ الأفكار وجمع التفاصيل وتشييدها في بنى ومنظومات، على عكس المنهجية الترتيبية التي تشظّي الأفكار وتجزّئ المواقف في تفاصيل قد تضيّع الدلالات الكلّية وتذوّبها، بحكم منطلقها التجزيئي.

المنهجية الترتيبية تتعامل مع الشخصية كأجزاء، أمّا المنهجية الإحيائية فتضع أمام الباحث الشخصية بكاملها؛ بتمام مكوّناتها وبكل زخمها وطاقتها وإثارتها في دائرة الضوء. وبشمولها وقدرتها على الجمع والشدّ والتفكيك والتركيب، ترفع المنهجية الإحيائية الشخصية التي تدرسها إلى مستواها الذي تستحقّه وتدرجها في حركة الإحياء الإسلامي التي عرّفها المسلمون تأريخياً، وراحوا يعايشونها بكثافة ملحوظة منذ قرن ونصف.

لا تخضع العلاقة بين المنهجيتين إلى تجاذبات القطيعة والتدافع، بل إلى التفاعل والتكامل، لأنّ المنهجية الإحيائية تبدأ من حيث ما تنتهي إليه معطيات البحث

www.ketab.ir

الترتيبي، فيما يوفّره من معلومات ومواقف وأفكار لا يمكن من دونها تنجيز الصيغة الإحيائية. من هنا، ليست الدعوة إلى المنهجية الإحيائية إلغاءً للمنهجية الترتيبية، بل الخطو بالبحث إلى أرضية جديدة والنفوذ به إلى طور آخر بعد استيعاب أهدافه في الطور الترتيبي.

من معطيات المنهجية الإحيائية ما تمنحه للبحث من خيارات عديدة للتقويم والمقارنة، سواء على مستوى الفكرة الواحدة أو كامل مكوّنات المنظومة، وعلى صعيد المدرسة ذاتها التي تنتمي إليها الشخصية المعنية أو مقارنة بقية المدارس والاتجاهات، ممّا يسبغ على حصيلة الدراسة قيمة إضافية تسهم عملياً في رؤية منجز كل شخصية على خطّ الإحياء بحجمه الحقيقي دون تهويل أو إضافات، كما من دون بخس أو تطفيف.

حين نضيف إلى مكاسب المنهجية الإحيائية تلك المعطيات التي راحت توفّرها المنهجيات المعاصرة في التعامل مع الأفكار في ملابساتها والنصوص في منشئها والمواقف في الأجواء التي تمخّضت عنها، لنا أن نلمس تضاعف النتائج وحيويّتها من هذه الزاوية ومن ثمّ ابتعاد البحث عن دائرة الرتابة.

www.ketab.ir

مساهمة الإسلاميين

في حدود متابعة لهذا الشأن امتدّت زمنياً لما يزيد على الربع قرن، لاحظتُ أنّ هذه المنهجية انطلقت بدءاً مع أعمال أكاديميين عرب ومسلمين عاشوا في الجامعات الأوربية والأمريكية قبل أن تنتقل إلى الساحة المحلّية. ولا ريب أنّ المحاولة التي قدّمها ألبرت حوراني في كتابه «الفكر العربي في عصر النهضة»، امتلكت ناصية الريادة وشقّت لها طريقاً متميّزاً سار فيه الكثيرون بعد ذلك. تلاها

من حيث الأهمية العمل الكبير الذي قدّمه فهمي جدعان عبر كتابه «أسس التقدّم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث».

ثمّ كتابات كثيرة استلهمت روح المنهجية الإحيائية واستعرضت مكوّناتها، بصرف النظر عن مدى النجاح الذي حقّقته وطبيعة النتائج التي خرجت بها ومقدار ما التزمت به من حياد وموضوعية، خاصة مع ما شهدناه من جنوح عدد غير قليل منها إلى ممارسة الإقصاء لدواعٍ غير معلومة إلّا أن تُفسَّر على أساس مذهبي وعنصري!

ففي الكتابين المذكورين آنفاً بدَتْ لغة الإلغاء على أساس مذهبي وعرقي جليّة، في كل ما يمتّ بصلة إلى قيادات النهضة والإصلاح الديني من علماء الشيعة ورادة الإحياء المنتمين إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، ممّن عاشوا على بقعة شاسعة ممتدّة من العراق إلى إيران إلى لبنان والبحرين والسعودية. الغريب أنّ ذلك حصل برغم تفاوت التوجّه وتباين الانتماء بين البرّاك العراني وفهمي جدعان، ولكأنّ الإقصاء منهجاً والإلغاء لغةً يجمع العلماني إلى الإسلامي!

حصل هذا في حين نجد أنّ باحثاً من طراز زكي الميلاد باشر المنهجية الإحيائية بروح متفتّحة، حرصت على استيعاب جهود المسلمين وما قدّمته ثمرات عقولهم في كتابه «الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد»، كما فعل ذلك آخرون أيضاً.

ما وددت التنبيه إليه أنّ المنهجية الإحيائية في دراسة الشخصيات النهضوية بين المسلمين، بقدر ما تمثّل حاجة مهمّة، يكتنف ممارستها الصعاب، فهي تتطلّب معرفة واسعة بالموضوع ودربة في المنهج، وإنفاق وقت غير قليل مقارنة بالنسق الترتيبي.

www.ketab.ir

هذه المحاولة

هذه المحاولة في عنوانها العريض «الإمام الخميني: النهضة والمنهج» هي مشروع طموح لتطبيق المنهجية الإحيائية في دراسة شخصية الإمام الخميني وفكره، وتقديمها في إطار منظومات متوالية من المفترض أن تكتمل في اثني عشر كتاباً.

لقد صدرت الحلقة الأولى من هذا المشروع عبّر الكتاب الأوّل المعنون «فهم القرآن: دراسة على ضوء المدرسة السلوكية»، حيث تعاملتُ مع المنجز القرآني للإمام الخميني في سياق إحيائي ونظرتُ إليه بحجمه الحقيقي، بعد ما درسته في نطاق المدرسة التي ينتمي إليها الإمام، وانتهتْ إلى نتائج اجتهد الكاتب أن تأتي بعد بحث طويل وجهد متأنٍّ، بذل فيه ما ينسجم مع إمكاناته وما كان بمقدوره أن يفعله.

مع ذلك لم يكن الكتاب الأوّل سوى بذرة أولى آمل أن يزيد في صلابتها الكتاب الثاني الذي أقدمه للقرّاء. فمن حيث الموضوع شاء صاحب الكلمة العليا (جلّ جلاله) أن يكون هو القرآن الكريم أيضاً، لكن من زاوية أخرى غير الزاوية التي أطلّ عليها «فهم القرآن». ومن حيث المنهج لازلنا ملتزمين بالمنهجية الإحيائية ذاتها التي تقدّم الإمام «صاحب منظومة»، وتحرص على النظر إليه من خلال خطّ طويل ثرّ ومتنوّع تتراصّ فيه جهود المصلحين ورادة الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي الحديث والمعاصر.

تمثلت الزاوية التي اخترناها للكتاب الثاني، اكتشاف طبيعة العلاقة بين روّاد الإحياء الإسلامي والقرآن الكريم، جاء فيه القرآن استجابة لهموم هؤلاء الروّاد

www.ketab.ir

وتطلّعاتهم وحركتهم ومشاريعهم، كما أبان ذلك بجلاء القسم الأوّل من الكتاب. أمّا من حيث المحتوى، فقد توزّع الكتاب الحاضر على ثلاثة أقسام يسبق كل واحد منها مقدمة خاصة به، والأقسام هي:

الأوّل: القرآن ورادة النهضة، وقد غطّى تسعة من المَصلحين القرآنيين بالمعنى الذي ذكرناه للعلاقة بين الإحياء والقرآن.

الثاني: المشروع التفسيري للإمام، وقد توفّر على تقديم المفاهيم النظرية لعلوم القرآن ومبادئ التفسير عند الإمام، على نحو ميسّر لكنه مكثّف.

الثالث: تطبيقات وشواهد قرآنية. وهذا القسم قدّم على وجازته، مداخل مكثّفة إلى قضايا أساسية في حياة المسلمين ومعتقدهم.

أخيراً، حرص الكتاب في أقسامه الثلاثة أن يلتزم بتقديم مادّته على نحو ميسّر ومكثّف في آن، لكي لا يخرج عن الإطار المحدّد له، وعسى أن يكون التوفيق قد حالفنا في ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جواد علي كسّار (خالد توفيق)

٢٥ /ذوالقعدة/١٤٢٦هـ

www.ketab.ir